

الاستقرار البشري في منطقة تبسة في فترة ما قبل التاريخ من خلال المصادر المادية

Human habitation in the Tébessa region in prehistoric times through material sources

عبد الرحمان بن عطياالله*

جامعة الشهيد الشيخ العربي التبسي (الجزائر)

البريد الإلكتروني: abderahman.Benatallah@univ-
tebessa.dz

تاريخ الاستلام: 2023/05/30 تاريخ القبول: 2024/12/05

● الملخص:

عرفت منطقة تبسة ظاهرة الاستقرار البشري منذ فترة ما قبل التاريخ، وتعاقبت حضارات أخرى على المنطقة خلال العصور اللاحقة كالفينيقية واليونانية والنوميديّة والرومانية والبيزنطية وهو ما يؤكد أهمية المنطقة ومساهمتها الفعالة في البناء الحضاري، كما نلاحظ أن المخلفات المادية التي تركتها الحضارات المتعاقبة تتجسد حاليا في تواجد العديد من المواقع الأثرية في كامل أرجاء الولاية من شمالها إلى جنوبها ومن شرقها إلى غربها. ورغم تواجد العديد من المواقع الأثرية والمخلفات المادية للكثير من الحضارات في تبسة إلا أن جزء كبير منها لم تتم دراسته ولم يتم تصنيفه وطنيا ولا دوليا وهو ما يفتح مجال للباحثين للتعرف على مظاهر الحضارات القديمة من خلال مخلفاتها المادية. ومن أبرز المناطق التي نشير إليها في هذا المقال منطقة بئر العاتر في جنوب الولاية حيث يوجد موقع الحضارة العاترية إحدى حضارات العصر الحجري القديم الوسيط، وموقع قاسطل حيث توجد الكثير من المظاهر الحضارية لإنسان فجر التاريخ، ومن خلالها سوف نطرح العديد من الإشكاليات من بينها: كيف ظهرت الحضارات في منطقة تبسة؟، هل هناك عوامل بيئية ومناخية مساعدة للتعمير البشري بالمنطقة؟ ما هي مظاهر تواجد انسان ما قبل التاريخ؟ كلمات مفتاحية: الاستقرار البشري، تبسة، ما قبل التاريخ، المصادر المادية، فجر التاريخ.

Abstract:

The region of Tébessa has known the phenomenon of human habitation since the prehistoric period, and other civilizations have succeeded in the region during the following eras, such as the Phoenician, the Greek, the Numidian, the Roman and the Byzantine, which confirms the importance of the region and its effective contribution to civilized construction. Archaeological sites throughout the state from north to south and from east to west.

Despite the presence of many archaeological sites and material remnants of many civilizations in Tébessa, a large part of them has not been studied and has not been classified nationally or internationally, which opens the way for researchers to learn about the manifestations of ancient civilizations through their material remnants.

Among the most prominent areas that we refer to in this article is the area of Bir al-Ater in the south of the state, where there is the site of the Atriyah civilization, one of the Middle Paleolithic civilizations, and the site of Qastal, where there are many cultural manifestations of man at the dawn of history, and through it we will raise many problems, including: How Civilizations appeared in the Tébessa region? Are there environmental and climatic factors that help human reconstruction in the region? What are the manifestations of the presence of prehistoric man?

Keywords:

Human habitation, Tébessa, prehistory, material sources, dawn of history.

● مقدمة:

تميزت منطقة حوض المتوسط بظهور الانسان منذ وقت باكر مؤسسا حضارات حجرية في مختلف المناطق كالحضارتين العاترية والقفصية والحضارة الوهرانية، وخلف انسان هذه الحضارات عدة أدوات حجرية في مناطق مختلفة بيئر العاتر وقفصة وسطيف ومعسكر. ومن بين هذه المناطق التي عرفت أولى ملامح التواجد البشري بمنطقة حوض البحر المتوسط نجد تيفاست تبسة بالشرق الجزائري حيث اتضح في العديد من المواقع التي تحتويها المدينة مظاهر الصناعات الحجرية كالصناعات الأشولية بالماء الأبيض والصناعات العاترية بيئر العاتر ووصولاً إلى فترة فجر التاريخ حينما عرف الانسان البدائي الاستقرار في الكهوف والمغارات وتظهر ملامحها بارزة في منطقة قاستل بشمال تبسة.

وسنركز في مداخلتنا على اختيار منطقتين من تبسة عرفنا الاستقرار البشري خلال فترات ما قبل التاريخ، الأولى هي بيئر العاتر حيث نتعرف على تاريخ ظهور الحضارة العاترية وما هي أبرز صناعاتها؟، كما نتعرف على بعض البقايا الحجرية الموضوعة في متحف مينرف بوسط مدينة تبسة، ثم نتجه نحو أقصى شمال تبسة حيث نتعرف على شواهد وبقايا تواجد الانسان واستقراره خلال فترة فجر التاريخ.

1. ظهور الحضارة العاترية

يمكن اعتبار الحضارة العاترية حضارة افريقية خالصة حيث لم يكن لها أية علاقة بالصناعات التي ظهرت في مناطق أخرى من العالم فيما يخص التقنية وهذا باعتراف كبار الباحثين في مجال ما قبل التاريخ، ولا يزال يجهل لحد الآن كيف تم تعويض الصناعات الأشولية بما احتوته من فؤوس ذات الوجهين ولبليات بصناعات مرتبطة عموماً بالحضارة الموسستيرية بإفريقيا.¹

وقد كانت أولى اكتشافات الأدوات الحجرية العاترية إلى ج. كاريار (G. Carrière) وذلك في منطقة أشمول بضواحي وهران سنة 1885م ثم توالى الاكتشافات من طرف ب. بالاري (P. Pallary) في تونس، ثم تم تتبع الحضارة العاترية ليتم إيجاد العديد من أدواتها في تبسة بمنطقة بيئر العاتر خصوصاً مع أبحاث العالم الفرنسي ريجاس (M. Reygasse) بداية من عام 1910.²

ويرجع أصل تسمية الصناعة العاترية في الأصل إلى موقع وادي جبانة بيئر العاتر جنوب ولاية تبسة، وقد ظهرت الحضارة العاترية خلال العصر الحجري القديم الأوسط وقد خلفت الحضارة الموسستيرية مع وجود بعض الفوارق بينهما مثل وجود الساق في قاعدة أدوات الحضارة العاترية، وقد تم الاتفاق على تسمية الصناعة العاترية انطلاقاً من مؤتمر مونبلي 1922، وانطلاقاً كذلك من أبحاث الأثري الفرنسي ريجاس الذي سبق وأن استخدم المصطلح منذ عام 1918.³

وقد جمع من موقع الجبانة ملايين الآلات الصوانية المهذبة والعظام الحيوانية والفحم والقواقع وتم دراستها في مخابر متحف باردو بالجزائر العاصمة، وأهم ما ميز تلك الصناعات هو وجود ساق للرؤوس الحجرية يسهل مسكها منه وهو الأمر الذي حسم الجدل بشأن إعطاء الصفة الخاصة للصناعات العاترية.⁴

1 ليونيل بالو- شمال إفريقيا قبل التاريخ- تر، محمد الصغير غانم- دار المعارف- 2001- سوسة- ص- 73.

Abdelkarim Hanini- Tébessa à travers l'histoire- chhab edition- 2009- p-p-10-11.2

3 محمد الصغير غانم- مواقع وحضارات ما قبل التاريخ في بلاد المغرب القديم- دار الهدى - عين مليلة- 2003- ص- ص- 59-، 60.

4 ليونيل بالو- المرجع السابق- ص- ص- 74-75.



الصورة 01: منظر عام لموقع وادي الجبانة

المصدر: ليونيل بالو، المرجع السابق، ص، ص، 74، 75.



الصورة 02: منظر عام لموقع وادي الجبانة

المصدر: ليونيل بالو، المرجع السابق، ص، 76.

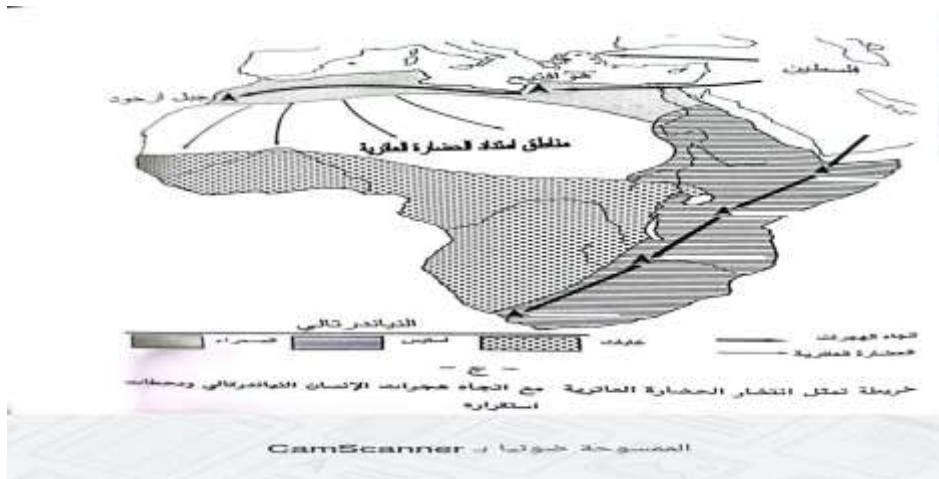
2. امتداد الحضارة العاترية

ويلاحظ أن امتداد الحضارة العاترية تجاوز منطقة بئر العاتر وتبسة بكثير فقد عثر على أدوات انسان هذا العصر بكل المناطق الممتدة من المحيط الأطلسي غربا وحتى وادي النيل شرقا وإلى الجنوب نجدها تصل حتى إلى السودان وأعالي النيجر وانطلاقا من الدراسات الحديثة فإن امتدادها يكون أكثر من ذلك بكثير.¹

ومن الناحية الزمنية فإنه تم تأريخ بداية الحضارة العاترية إلى حوالي 40 ألف سنة وامتد اشعاعها إلى 25 ألف سنة وهي بذلك تدخل في نطاق العصر الحجري القديم الوسيط.²

¹ محمد الصغير غانم-المرجع السابق-ص 62.

² محمد رشدي جراية-السمات الحضارية للعصر الحجري القديم الأوسط في بلاد المغرب-مجلة البحوث والدراسات-ع 15 - 2013 - ص - 284.



الصورة 04: خريطة توضح امتداد الحضارة العاترية في افريقيا والشرق الأوسط

المصدر: محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص، 71.

3. مراحل الحضارة العاترية

حسب الأبحاث المنجزة حول الحضارة العاترية فقد قسمت المراحل إلى ثلاثة:

1. **العاترية القديمة:** أغلبية وجود صناعاتها تم اكتشافها على السواحل، ومن مميزاتها أنها أقرب إلى الصناعات الموسمية حيث نلاحظ عليها ندرة القطع ذات العنق ومن أبرز مواقعها الحنك ودار السلطان وعين جمعة بالمغرب الأقصى وبالخروبة ودرار بالجزائر¹، والرأس الأبيض والمونستير بتونس، كما أن هذه الصناعات معظمها مصنوع من الكوارتز.²
2. **العاترية الوسطى:** تتميز صناعاتها بأنها شبيهة إلى حد ما بالصناعة الموسمية مع استمرار للتشذيب الليفالوازي متعدد الأوجه ووجود صفة العنق في كثير من أدواتها ومن أبرز أشهر أدواتها رؤوس السهام أما أهم المناطق التي انتشرت فيها موقع أوبيرة ووداي الجوف والجمل ووداي الجبابة بالجزائر، وموقع الخنزيرة بالمغرب الأقصى.³
3. **العاترية العليا:** عثر لأول مرة على أدواتها بالمغرب الأقصى، وتوالت الاكتشافات بمواقع في الصحراء الجزائرية، وتتميز أدواتها بتهديب دقيق وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها.⁴

1 محمد سحنوني- ما قبل التاريخ- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر- 1999- ص- 107.

2 محمد الصغير غانم- المرجع السابق- ص- 62.

3 محمد رشدي جرایة - المرجع السابق- ص- 285.

4 محمد الصغير غانم- المرجع السابق- ص- 64.

4. أدوات الحضارة العاترية

تنوعت الأدوات الحجرية العاترية فمن أبرزها المكاشط والمسننات ورؤوس السهام المزودة بساق وكذلك السكاكين والشظايا واستخدم الانسان العاتري أدوات مستخرجة من الطبيعة كالمغرة والقواقع المثقوبة من الرخويات البحرية ويبدو أن عملية ثقب تلك القواقع كان الهدف منها صنع الحللي.¹

وتطورت الأدوات العاترية عبر مراحل وقد ذكرنا سابقا مراحل تطور الحضارة العاترية، حيث عرفت المرحلة العاترية القديمة صناعة حجرية شبيهة بالموسترية مما أدى إلى الاعتقاد أنها مجرد امتداد لها، أما في المرحلة الوسطى فتميزت بحجارة ذات تقضيب لوفالوازي بأعقاب متعددة الأوجه وجزء منها يحتوي على عنق، أما في المرحلة العليا فأصبحت الصناعات أكثر دقة وتهذيبا وتغلب عليها رؤوس السهام المزودة بساق في قاعدتها.²



الصورة 05: بعض أدوات الحضارة العاترية ذات الساق

المصدر: تصوير الباحث من قاعة العرض متحف مينرف بتبسة.



الصورة 05: بعض الرخويات المستخرجة من مواقع الحضارة العاترية

المصدر: تصوير الباحث من قاعة العرض كنيسة تبسة.

1 سليم سعيدي-محاضرات في مقياس ما قبل التاريخ الشمال الافريقي-السداسي السادس-2020-2021-جامعة قلمة ص-22.

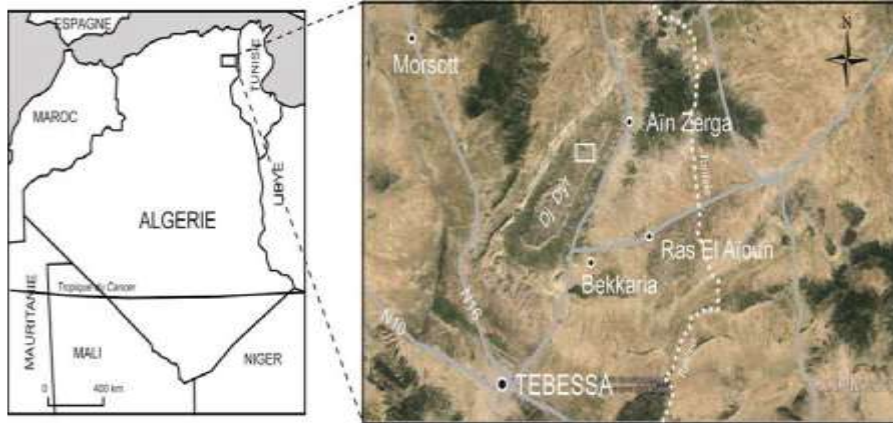
2 نفسه-ص-23.

يصنف انسان الحضارة العاترية مع صنف الانسان العاقل العاقل (Homo sapiens sapiens)، وهو الانسان المعروف بالإنسان الحديث.¹

إن تعدد الصناعات العاترية ودقتها وامتداد الحضارة العاترية الشاسع لا يزال بحاجة إلى العديد من الدراسات للإجابة على الكثير من التساؤلات من بينها: هل كانت بئر العاتر وتبسة المركز الأول والأساسي للحضارة العاترية؟ ومن ثمة كانت هناك هجرات إلى مناطق أخرى أو أن الانسان العاتري هو الذي سعى إلى ربط علاقات مع مناطق أخرى كانت مأهولة؟ وما هي الظروف البيئية والمناخية التي ساعدت الانسان العاتري في الاستقرار بمنطقة تبسة وذلك لأن هذه الأخيرة مرجعا لإنسان تلك الحضارة؟، وهي تساؤلات يمكن الإجابة عنها بعد القيام بأبحاث أخرى ميدانية وبالتالي تنقيح أعمال المدرسة الفرنسية.

5. منطقة قسطل وانسان فجر التاريخ

باتجاه الشمال الشرقي من مدينة تبسة وعلى بعد 20 كلم يوجد جبل الدير حيث هناك آثار كثيرة ترجع إلى فترة فجر التاريخ مما يوحي بوجود حضارة كبير لهذا العصر²، وقد بدأ الاهتمام بالمنطقة نهاية القرن التاسع عشر الميلادي بالنظر إلى وجود العديد من الآثار: الحوانيت، الدولن، الآثار الرومانية ومن بين الذين قاموا بالأبحاث الأثرية فيديره (Faidherbe) عام 1869، وبوسردن (Bosredon) 1876*1877، ثم توالى الاكتشافات في بداية القرن العشرين مع ريجاس.³



الصورة 06: خريطة لموقع انسان قسطل

المصدر.: 3-p-3. Djerrab et autren opcit-3.

5.1 أهم المخلفات الأثرية لانسان قسطل

من المخلفات الهامة التي تركها انسان قسطل هي القبور المتنوعة كالدولمينات والبازيناس والحوانيت وهو ما يدل على عمق التفكير الجنائزي لسكان المنطقة وتظهر تلك الآثار بوضوح خلال الزيارة الميدانية لمختلف المناطق.⁴

Hassan Aouraghe- Histoire du peuplement paléolithique de l'Afrique du Nord et dynamique des interactions entre l'homme et son environnement-C. R. Palevol 5-2006-p-240. 1

Abdelkarim Hanini-opcit-p-12. 2

Abderrezak DJERRAB et autre- Etude préliminaire du site de Gastel (Wilaya de Tébessa)-Conference Paper- March 2019-
https://www.researchgate.net/publication/332330634-p-2. 3

G. Camps,- Gastel - Encyclopédie berbère - Peeters Publishers -1998-p-2. 4

الحوانيت:

تعد الحوانيت من أبرز نماذج الطقوس الجنائزية في بلاد المغرب وقد تم حفر هذه الحفر الصغيرة في جانب الجرف بالوديان التي تقطع جبل الدير، وتم اكتشافها من قبل فيدر (Faidherbe) عام 1869¹، وتمثل الحوانيت قبور دفن محلية تكون غالبا عمودية لا يزيد ارتفاعها عن 0.80 مترا ولا يقتصر تواجدها على منطقة قاسطل فقط بل هي ظاهرة عامة في بلاد المغرب خصوصا في الجزائر وتونس والمغرب.²

ورغم الخلاف بين الباحثين حول وظيفة الحوانيت بين من اعتبرها منازل سكنية ومن اعتبرها قبور للدفن فإنه بناء على الأبحاث الميدانية فقد تم ترجيح أن تكون الحوانيت قبور للدفن حيث وجدت آثار لبقايا موتى فيه، وقد استمر السكان المحليين في استخدامها للدفن إلى غاية الفترة المسيحية.³



الصورة 07: حوانيت قسطل

المصدر: عبد المالك سلاطية. المرجع السابق. ص. 58.

الدولن:

تتمركز الدولمينات في المنحدرات الشمالية لنهر الدير، حيث كانت منحدرات الأودية مقرا لها كباقي المناطق في شمال افريقيا وتتميز بأنها صغيرة الحجم وبسيطة الشكل لكنها غير منتظمة⁴، كما خصصت الدولمينات للدفن الفردي ولذلك نجد حجمها الصغير.⁵

1. G. Camps- op cit-p-3.

2 عبد المالك سلاطية. بصمات فجر التاريخ وجدور الهوية الوطنية، المدافن الحجرية بالشرق الجزائري، دار الارشاد ط1. 2013 ص. 157. 158.

3 نفسه - ص - 159.

G. Camps- op cit-p-44

⁵عبد المالك سلاطية. المرجع السابق. ص. 92.



الصورة 08: دولمن بمنطقة قسطل

المصدر. G. Camps- op cit-p-5

البازيناس:

هي نوع من أنواع المدافن الحجرية وأطلقت على القبور التي تعلوها بنايات مستديرة الشكل وقد تكون مدرجة تتكون من دوائر متتالية شاقوليا مع تقلص القطر حتى تظهر في شكل حلزوني¹، وقد تم بناء البازيناس في أراضي شديدة الانحدار²، ويستعمل في بناءها الحجارة وأحيانا تستخدم الحجارة مع الأتربة وتنتشر بشكل عام في الجزائر وتونس والمغرب وبالتالي فهي مدافن مميزة لليبيين وبقيت موجودة إلى غاية الاستعمار الروماني.³



الصورة 09: بازيناس بمنطقة قسطل

المصدر. G. Camps- op cit-p-6

1 عبد المالك سلاطونية . المرجع السابق . ص . 29.

G. Camps- op cit-p-62

3عبد المالك سلاطونية . المرجع السابق . ص . 30 . 31.

● خاتمة:

توصلنا من خلال الدراسة إلى مجموعة من النتائج نوردتها كما يلي:

1. تعد منطقة تبسة من المناطق الأولى التي استقر فيها الانسان، حيث عرفت مناطق للاستقرار البشري منذ العصور الحجرية إلى غاية الفترات التاريخية اللاحقة.
 2. تعد المخلفات المادية الحجرية في بئر العاتر من النماذج البارزة للصناعات الحجرية خلال فترة العصر الحجري الأوسط وحصلت مواقع بئر العاتر على نموذج عالمي للصناعات الحجرية.
 3. تدرج الانسان في منطقة تبسة من عصر لآخر وطور أدواته وصناعاته من الصناعات الحجرية إلى صناعات الفخار، كما تدرج في تفكيره الديني ويظهر ذلك بوضوح من خلال الأنواع المختلفة للقبور الجنائزية في منطقة قاسطل شمال تبسة.
 4. إن دراسة ظاهرة الاستقرار البشري ترتبط بصفة خاصة بالظروف البيئية والمناخية التي يحتاجها الانسان وبالتالي من الضروري البحث فيها خصوصا وأن ظاهرة التلوث المناخي في ازدياد مستمر بكوننا وبالتالي من الممكن الاستفادة من تعايش الانسان مع بيئته حتى في العصور القديمة.
- وفي الأخير نقترح أن تتقدم الأبحاث الخاصة بتاريخ منطقة تبسة القديم لما تحويه المنطقة من إرث مادي عريق لمختلف الحضارات التي عرفتھا البشرية، كما نرجو من الجهات الوصية إقامة مراكز بحث أو فروع للمراكز الوطنية المتخصصة في التاريخ أو الآثار لمتابعة عمل الجامعة ومديرية الثقافة وتسهيل الإجراءات للباحثين والطلبة للاهتمام بالآثار التي لم تتعرض للدراسة أصلا.